**غرائبيَّة العنوان في مجمـــــوعة: (دوائـر مربعة)**

**لــ(جابر محمد جابر)(1)**

**الكلمات المفتاحية:( غرائبيَّـة، العنوان، دوائر)**

**أ.م.د. كــريم حســـن اللامــــي**

**الجامعة المستنصريـة ـــ كلية التربية ـــ قسم اللـغة العربية**

**ملخّص البحث:**

الحقّ أن الشاعر العراقي:(جابر محمد جابر)، في دوائره المربعة(2)، لا يقلل من بواعث الوجود الإنسانيّ، الذي هو (دائري) الشكل، يبدأ من نقطة ويستمر بالخط المنحني على وفق وثبة:(ذاتيــَّـة/شعريــَّـة)، يولد منها النصّ ويُخلق باحتفاء شديد بالكون، حيث الزمان لا نهاية له، والمكان لا حدَّ له، إنها تجليات الروح في بحثها عن تفكيك مأزق الذات وقهر الفناء النفسيّ المستمرين، هكذا يبدو جوهر هذه الدوائر، التي لا يخرج فيها المعنى بكامل قـواه المنطقيَّـة، بل يتعرّض إلى محاورات تحيله إلى نسـق دلاليّ جديد.

إنَّ الدوائر المربعة، تكشف النقاب عن شاعرٍ مفعم برؤيــة إنسانيَّة شاملة، قادرة على تجديد حركيَّــة النصّ، من أجل سعة أسلوبيـَّـة فنيـة تستوعب المتناقضات، للكشف عن الذات الفردية وما يدور حولها وصولًا إلى الذات الجماعية، وبمعنى آخر هو يستطيع أن يروّض التجربة عامة، وأن يكون على وعي بها، وهذا ما نستشفه من غرائبيـَّـة عنوان المجموعة ونصوصها المبنية على المغالطة المفهومية، أو المجاهدة الذهنية، وهذا الأمر يحسب له في جس النصّ الرافض للصيغ الانشائيـة، لأنه يمتلك الأداة اللغويـَّـة امتلاكًا تامًا، ويقدر على تصريفها في السبيل الذي يُريد، ففي عنواناتـه ينصرف إلى التلاعب اللفظيّ بتلك اللغة من جانب، وإلى اصطناع المنطق العقليّ من جانب آخر، فضلًا عن انه لا يرتضي في هذه المجموعة أن ترصف نصوصه بالكلمات رصفًا عشوائيًا، لتصبح عاجزة عن إحداث التأثير المطلوب.



**بوابــــة النصّ: مدخـل مفاهيميّ**

إنَّ العلاقة بين الشاعر ومداخله الشعريـَّـة، علاقة من نوعٍ خاص، وإن احساسه بها من حيث هي خطوتــه الأولى، تختلـف كثيرًا عن احســاس الآخـرين من الشعراء، فهي احيانًا رموز ومفاتيح لأشياء أرادها الشاعر نفسه، ولكن من دون فعل التعميــة أو لعبة التضليل على المتلقي، وزجه في دائرة لا يستطيع التأويل فيها، لتعيين المعنى وبلوغ الهدف التواصليّ،(3) إذ يؤدي مدخل أي نصّ أدبيّ دورًا بارزًا في صياغة الدلالة وبنائها، وبيان قابلية المبدع على صياغة الخطاب، وقدرته على إثارة الانتباه،(4) لأنه ليس هناك خطاب ما لا يؤدي وظيفة الاتصال، الأمر الذي يجعله محكومًا بقوانين كان لها بالغ الأثر في تحديد هوية النصّ، من حيث الإضاءة والتلميع(5) وهذا ما يدعـــونا للقول: ان تجربـــة الشاعر بالمدخـل الشعريَّ، قد تكـون أوثق وأهم من علاقتـه ببـاقي أجـزاء النصّ، وقد قيل قديمًا: ان تحسين المطالع وجودتها" هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزِّلة من القصيدة منزلة الوجـه والغرة، تزيد النفـس بحسنها ابتهاجًا ونشاطًا لتلقي ما بعدها"(6).

وقد صار معروفًا، أن بوابة النصّ الشعري تبدأ من (النص الموازيّ)، الذي اشار إليـه:(جيرار جينيت)، في عتباته النصيَّة، ففيه الحديث عن العنوان الذي يُمكن قراءته كنصّ قابل للتحليل والتأويل والاستنتاج،(7)وله وظائف عدة، كــ(التعيينية، والوصفية، والدلالية، والإغرائية)، وجميعها تسهم في التكثيف والإيحاء، وتؤسس للنصِّ رؤيته المرجعية ومقاصده الظاهرة أو الخفية، وبالشكل الذي جاء فيه.

ومما لا شك فيه أن:(العنوان)، وتعدد القراءات فيه، قد راج في الدراسات الحديثة والمعاصرة الخاصة بالأدب بشكل عام، والشعر بشكل خاص(8)، وهي استجابة لا تنفك تتصل بما يتقوَّم به الشعر من خصائص لا تتوقف عند حدود الإثارة أو الاشارة أو الدلالة المعجميـَّــة، بل تتعداها لتصل إلى معطيات العنوان والتفاعل معه، لأنه" المفتاح الاجرائيّ الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النصّ، وتسهيل مأموريـَّـة الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة"(9)، وما يشكله من أنساق كليـَّــة، إذ إنَّ العنوان يجسّد حركة المعنى، ويكشف عن التناسب في الأداء، كما يمكن أن نلمح فيه صعودًا حادًا للحركة النفسيَّة التي يعيشها الشاعر، حين يــختار عنوانـه، وما يملي عليه هذا الاختيار من دون وعي منه،(10) فضلًا عن كونه العلامة (السيميائيـَّــة) الدالة الدخول إلى عالم النصّ واستكشاف بنيتـــه الدلاليـَّـة(11).

ولعلَّ هذه الدوائر المربعة وكشوفاتها الهندسيـَّـة ــــ إذا صح التعبيرـــــ تدفع الابصار إلى مغامرة حسيـَّـة ثريـَّـة، تمكّن الدراسة بوصفها أفقًا من الرؤيــة، في أن تكون على ثلاثة مسارات:

**المسار الأول:**

**ــــــ غرائبيـَّـة عـنوان المـجموعة**

إذ تتشكّل بنيـة عنوان مجموعة:( دوائر مربعة)،على صيغة الجملة الاسمية، فلفظة(دوائر) هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره(هذه)، اما لفظة(مربعة) فهي صفة لهذا الخبر، ولا شك أن الصيغة الاسمية بشكل عام، لم تكن خارج مدارات التداول، فهي كثيرة الوقـــوع في لغة الــعرب، فتسـمية الشاعـر بــ(دوائر) ليس أمرًا غريبًا في اللغة، فهي لفظة حالها حال الألفاظ الأخرى الواردة في الكلام، ولكن وصفها بــ(المربعة)، فذاك هو مدار العنوان وغرائبيـته ونقطة ارتكازه، فهو لا يجعل المعنى سهل الانقياد، مهما حاولنا تفسيره أو تحليله، إذ كيف يكون شكل هذه الدوائر، وهل هناك دوائر مربعة في الشكل الهندسيّ، إذ لا منطقيــة ـــ هنا ـــــ للعنوان، ولا يشي بعلاقة بين الدال والمدلول، وبعبارة أخرى هو التنافر(التضاد) المعجمي في عدم التضمن من طرفين، إذ تكون الكلمة متعارضة مع أخرى،(12) وقد يصح القول عنه: المعنى المستغلق في الكلام لا يمتلك إمكانية فضه.

فعتبة عنوان هذه المجموعة ونصوصها، كانت سمة للقلق الأسلوبي ــــ إذا صح التعبيرــــ الذي عاشه الشاعر في وسط (نفسيّ/وجدانيّ) لم يألفه من قبل، وهذا ما يدفعه لإيجاد وسائل جديدة للتعبير الشعري في هذه المجموعة، تبدأ من العنوان الذي يقوم بإيجاد علاقة أو صلة تحمل الخفايا والتناقضات بأبعادها المتعددة، وتنتهي بخليط غريب من التجارب الشعريـة المتناقضة أيضًا، كعامل يضفي على العنوان سمة شعريـَّــة لها علاقات ممكنة مع عناوين النصوص الأخرى، والحصيلة هنا تدفع بالشاعر إلى البحث في صميم نصوصه الإبداعية، التي جاءت لتعكس بنية الواقع اليومي في تناقضاته وصراعه ونموه، وتكشف عن مغزى ما يُريد بمعيار أوسع وأشمل، وفي الحقيقة مَنْ يطالع نصوصه يجد لديه حصيلة متشابكة من العواطف حول الحياة، فالشاعر بدأ لعبة الغرائبية منذ أن جسّد العنوان الصورة الكبرى لها، فالدوائر المربعة يصعب على المتلقي استدراك كنهها للوهلة الأولى، لكنّه أن فكر قليلًا وجد أن حياته بالكامل هي عبارة عن دوائر مربعة، تبدأ بالولادة والطفولة والشباب وتنتهي بالهرم، وهذه العناصر الأربعة هي القواعد الرباعية التي قامت عليها دوائر الشاعر.(13)

فالشاعر جابر محمد جابر قد رسّـخ مفهومًا يُعنـى بالشكل التزييني للجملة الاسميَّة، لتكون محاولاته العنـوانيَّـة غير المعقولة مرتبطة بهذا الفهم، من دون أن يفقد العمل الفني جدليته، وهذه المحاولات تنتمي إلى الكشوفات الهندسيـَّـة ومشاكسة التأويل، التي قد تتفق مع رؤية المتصوفة في فك أحجيـة الزمن بالفهم النفسيّ الاستشراقـــي، الذي تذوب فيه فوارق الأمكنة والأزمنة، وتدخل البداية في النهاية، كما يُشير الدكتور محمد راضي جعفر لهذا التصوُّر، في مقدمة هذه المجموعة بأنها:(أسئلة تحمل في طياتها الإجابات عند الصوفيـَّـة، تواءم الصحو مع السكر، وتداخل البسط بالقبض، وحلّ القرب بالبعد، وائتلف الأنــس مع الوحشة)،(14) الأمر الذي يجعل من هذه النصوص مغزى فلسفيًّا وجوديًّا، يُبنى على امتداد التغير والتحول المستمرين معًا، لا يملك الشاعر الهرب من هذا المغزى أو مقاومتـه، رغبة منه في إيصال ما يُريــــد، لأنه يمثل جزءًا فاعلًا من طقوس حياتـه المعتادة، على الرغم من أنه لم يلبس شعارات المتصوفة، ولم يسلك في أية طريقة صوفية، ولكنَّه يستطيع عن طريق تتبع هذا المغزى، أو يكتشف طبيعة الدلالة الشعريــَّـة مع الدلالة الصوفيـَّـة، إرادة الكشف المستمر ضد المنطقيـَّــة العـقلانيـَّــة.

**المسار الثاني:**

**ـــــ غرائبيَّة عناوين النصوص**

تكمن غرائبية عناوين نصوص المجموعة الشعريـَّــة:(دوائر مربعة)، في الاختيار الدقيق للشاعر، تبرز فيها غلبة الوظيفة الإغرائية، فضلًا عن الوظائف الأخرى، وفي هذا اندهاش يصل إلى حدود اللغز والزخرفة المسرفة، التي تثبت انها لم تأتِ اعتباطًا أو عشوائية؛ لأنها تفتح باب الانتماء إلى المنجز الإبداعي عبر قدرة المبدع الفائقة على تلك الصياغة، وتكثيفها في إطار المسالك التي لم تسلك من قبل في مجاميعه الاخرى، كما في نصوص:( إيهام الظلام، الحاسة الكاذبة، إني تسكنني نخلة، جمر المسافات، حافلة الرغبة، خيول الشك، سأعلن عن موتي قريبًا، في منفاي الضوئي، قهوة الضجر، لديّ فائض من كريات الحزن،...)، وجميعها أوضح دلالة على الجهد الواعي للشاعر وهو مرهون بحريته اللغويــة ومصادر إلهامه، وهذا ما يدعونا للقول: ان الحدس الشعريّ والقرابة النفسيَّة هما اللذان كانا يقودان عناوينـه قبل كل شيء.

إنَّ الشكل العنوانيّ في هذه المجموعة يلتصق بذهنية نسقيـَّـة أرادها المبدع، وذلك عبر عمليات التراكم التي تبطن داخلها مجموعة من الممارسات الثقافية وردود الفعل النفسيـَّـة، وهذا الأمر سيدخلنا حتمًا في بعض تناقضات عناوين النصوص الآنفة الذكر، إذ نجد أنفسنا داخل هذا الفعل اللغويّ منجذبين في قطب واحد، وهو ربط مفردات العنوان بما لا يتناسب معه في اللفظ والعائلة اللغويـَّـة، ولا ينتظم معه في سياق واحد، كما في نص:(إيهام الظلام) وما يشكله من ابعاد المتلقي عن المعنى الحقيقي للظلام، ومرد ذلك كله، أن ما كان يجب أن يحدث من ظلمة موحية لم يحدث أبدًا، وهنا يبدو ضروريًا التوقف عند لغة العنوان، التي قد تستجيب لرموز العصر ودلالاته، لنتساءل هل يتمكّن المتلقي من استيعابها وهو يرصد لغة تتوسل الانزياح، لإيجاد المبرر الجمالي الكامن وراء اختيارات ذلك العنوان؟ أن الاختيار الدقيق أو الاغراق في عملية تشكيل بنية العنوان، يمكن القول عنها: هي انزياح عن المجاز الممكن إلى المجاز المستحيل، أو هي نوع من أنواع التسويغ الفكريّ، فنلحظ في نص:( قهوة الضجر)، إذ فيه تغلغل للمفاهيم المعتادة، في أن القهوة تُشرب عند المزاج والراحة، ولكن شربها من مسحوق آخر غير البن، كـــ(الضجر) مثلًا، هو الذي يزحزحها عن ثـوابتـها المعروفة، وكذلك نلحظ في نص:(الحاسة الكاذبة) انزياح عن الكلام المتداول في الحياة اليومي، والذي اعتدنا فيه القول: الحاسة السادسة، وإذا بالشاعر يأتينا بحاسـة جديــدة لا تشبـه الحواس الاخرى، ليخلق حالة نفسية يريدها هو، عبر استعماله الألفاظ التي تخضع إلى الغموض حينًا، وإلى الغرائبيــَّة حينًا آخر، وقد يعمد إلى كليهما معًا في كثير من الاحيان، وذلك على شاكلة قوله، في نص:(في منفاي الضوئي)، وهو استشعار لما سيحدث بعد ألف سنة مثلًا، إذ كيف سيكون المنفى بالسنوات الضوئية، أو على سطح القمر بدلًا عن الصحراء الشاسعة، وأماكن السجون، فالغرائبية هنا شفيفة تكشف عن جمال المحتوى الفني، الذي أوضح أثره العنوان.

وتندرج عناوين أخرى لها علاقة غير مباشرة بالقصائد، وبمسميات مجازيـَّـة لا تعرّفك بشكلٍ مباشر بالنص، مثل:(جمر المسافات، حافلة الرغبة، خيول الشك)، وهذه العناوين تكون موسومة بمهيمنة واحدة، وهي: (السفر/ الرحلة/ الرحيل)، أو في مدار واحد، لتشكيل المبنى الأساس الذي تحاك حوله بقية العلائق، وحينذاك تتوافر للشاعر بعد صياغة العنوان، فرصة الانطلاق نحو سبر أغوار المناطق الجمالية في النصّ، وبيان خصائصه الفنية، والوقوف على خصائص المضمون، الذي يفجّر الخزين الواعي وغير الواعي للشاعر والمتلقي على السواء.

وعلى الرغم من غرائبية العنوان، فهو الأشد سطوعًا في صياغات الشاعر، بعيدًا عن ذلك الشكل التقليدي الذي أصبح مستهلكًا، والانتقال باتجاه مساحات عنوانيَّــة جديــدة لها وظيــفة ذاتــية، نشم لها رائحة، ونجد لها روحًا، فهو حين يقول في نصه:(إني تسكنني نخلة)، إذ يجعل من جسده تربة صالحة لحياة النخيل، أي يجعل عراقًا آخر يحتوي النخيل، فلا يمكنه أن يعيش من دونه، فهو يستمر بهذا السكن، ليحقق مشهدًا تسمو به التجربة الحياتيـة بملامح الخصوصيـة والتفرد، ولعلَّ تلك الغرائبية في العنوان تنقلنا إلى وظيفة ذاتية أخرى، تتمثل في نصه:(سأعلن عن موتي قريبًا)، فالمعنى فيه مسطّح لا يتسم بالعمق، لكنّه اعلان عن احتضار الروح قبل الجسد، وليس الشاعر ــــ هنا ــــــ هو الوحيد الذي رثى نفسه قبل موته، فقد سبقه إلى ذلك الشاعر الإسلامي: (مالك بن الريب)(15)، في قصيدته البكائيـة، وكذلك الشاعر العراقي:(عبد الباقي العمريّ)،(16) وغيرهما الكثير.

وعلى هذا المنوال، يعي جابر محمد جابر ماهيـَّـة التلاعب بصياغة العنوان، بما يثري مفهوم الشكل الغرائبيّ الذي يتوافر على سيرورة نصوصه المختلفة، مما يترتب عليه خلق تلك الهزّة العميقة في تسميــة تحمل بين ثناياها صورة ذهنيــة ونفسيـة أبعد غورًا بكثير من وصفها عنوانًا مستهلكًا؛ لأن عنوانه غالبًا ما يكون نتاجًا واعيًا للتعبير عن الخزين المعرفيّ والوجدانيّ، وكيف لا وهو بعض مما يكوّن عالمه ويغذي تجربتــه ومهارتــه الادائيـة، فهناك منبع في مكان ما يحاول الشاعر أن يتصيده عبر رحلته الشعريـَّـة.

**المسار الثالث:**

**ــــــ غرائبيـَّـة العلاقة الدلاليـَّـة بين المتن والعنوان**

ولعلَّ تلك الغرائبية، لها الأطر(الفنية/ الجمالية)، التي تشهد لونًا من الاستقطاب النادر، الذي لا يفصل المحتوى عن التعبير مهما اختلف الشكل، وهذا المستوى لا يكون عرضيًا؛ لأن القيمة الجمالية ـــــ هنا ـــــ تكمن فيما تأتي به العناوين وهي تكسر المعايير الثابتة في الخطاب الذي هو أكبر مساحة من النصّ، إذ ثمة بنية عميقة في هذا الخطاب لا تنفرد بفاعلياتها دوال العنوان وما تستدعيه القاعدة التركيبية التي لها محمول دلاليّ، بل يستدعيه المستوى النصـيّ ووظيفته الدلاليـَّـة.(17)

وهذا التصوُّر من أهم سمات التفرد الذي يوحّد(المنطق العاطفيّ)، ويجبر اللغة على أن تغيِّر قانونها، فالدال يرسلنا إلى مدلول آخر، وفي هذه الحالة تغدو للعنوان وللمتن معًا، لغة متماسكة، أو لغة نوعية، لها ارتدادات قد يشوّه الشكل فيها أو يحرّف؛ لكي يعطي ذلك المغزى، الذي ندرك من خلاله: أن هناك(ذكاءً شعريًا) لا يقع تحت طائلة التداعي اللغويّ البسيط، بل يقع تحت طائلة التبعية التركيبية، فيكون تارة للفظ، وتارة للمعنى، وهذه هي مهمة الشاعر الجاد وهو يبعث الإحساس بالاتحاد العميق بين المتن والعنوان.

ولابدّ من الاشارة هنا، إلى ان العلاقة الدلاليـَّـة ليست فردية في النص، وانما تتوقف على الصياغة، ذلك ان الشكل العام لهذه الصياغة يقوم على مستويين: الأول، داخليّ وهو يتضمن الصور أو المضمون، والآخر، خارجيّ وهو السرد اللفظي، وهما يتداخلان سوية في وحــدة لا تنفصـم عراها في أي شكل من الأشكال، ومن هنا يتم التشكيل النهائي للنصّ وما فيه من التوازن بين العناصر الفنية المختلفة.

كما في نــصّ:(الصمت الملتبس)، الذي يجمع الصور(المحسوسة، والذهنية، والعقلية) معًا، ليعادل وظيفة العنوان الذي جيء به بين شيئين لا مسوّغ للجمع بينهما، إذ يقول:

**تركتُ ترابَ الأجوبةِ**

**والسعادة تتناثرُ**

**من فرطِ السهرِ،**

**على خيباتي**

**وعليهِ..**

**سأسقي أصدقائي**

**قهوةً مرةً بيضاء**

**وسأنصبُ سرادقَ عزائي**

**وأفرشُ سجادًا فاخرًا...**

**لاستقبالِ مَنْ تجمدتْ دموعهُم**

**ومن تملكهُم..**

**صمتٌ ملتبسٌ**(18)

فالشاعر يعمد ــــ هنا ـــــ على تضييق المسافة النصيَّـة الواقعة بين المعاني الهائمة وبين ما يحمله الانزياح، في تدرج فني يشدد على التعبير، فلا يستبقي غير الجوهري الذي لا يتعارض مع ثيمـــة العنوان، لإيجاد إيقاعات تبعث الدهشة الغرائبية في ذائقة المتلقي وهو يقرأ الجمل الشعرية الهاربة، في مثل:(تركت تراب الأسئلة، سأسقي أصدقائي قهوة مرة بيضاء، وسأنصب سرادق عزائي)، إذ يخضع المتلقي لسحر هذه الجمل قبل أن يفهمها في القراءة الأولى، ولكنَّه في الثانية يجد لها مسوغًا مقبولًا واضح الدلالة بيِّن المغزى، وكل ذلك في تكنيك شعريّ يكشف عنه العنوان قبل الدخـول إلى فضاء المتن النصــيّ، القائم على المخالفة والتفلـت من النظام والخروج عن النهج المألوف.

وله من النصوص العاليـة التي تلوح فيها غرائبية العنوان، نص:( قرد الزمن) الذي ينمو باتجاه وجهة، من شأنها أن تجعل الشاعر مسترسلًا بإزاء ما ينفلت من تخزينــات الذاكــرة، إذ يقول:

**تركتُ الريحَ تتأرجحُ**

**تحتَ اصابعي**

**والخيولَ تخرجُ من جيبي**

**من بعيدٍ**

**شاهدتُ السفنَ**

**تسبحُ في الغابةِ**

**بعيني شممتُ رائحةَ المطر**

**تذكرتُ السيابَ وهو يشدو**

**مطر.. مطر.. مطر**

**قررتُ أن أسافرَ مع المطر**

**وأحلقُ في ذاكرةِ غريمي(19)**

إنَّ عتبة العنوان:(قرد الزمن) تحيل إلى منطقة واسعة من الرؤية، يستقيها المتلقي للوهلة الأولى، وتتمثل بالحالة اللاشعورية للإنسان عند تساقط المطر، وهذه الحالة تُشبه حالة (القرد) عند حصوله على شيءٍ ما.

إذ إنَّ الذات الشاعرة تُشير إلى مشاهدات الزمن الحاضر، والبحث عن موجودات أخرى من الذكريات، كالأرث الشعريّ عند السياب في (أنشودة المطر)، وهذا الشيء في دلالته لا جدوى منه في زمن ضائع لا غير، يُشبه تمامًا مَنْ توارى خلف بقايا (العمر)، وترك الريح تتأرجح تحت اصابعه، والخيول تخرج من جيبه، وهو يقفز كالقرد كناية عن القفز المسرع بالسنوات، ليسافر مع المطر ويحلّق في ذاكرة(الغريم) وما تبقى من ديون الزمن، ومن شأن ذلك تتجسّد صلة العلاقة الدلالية بين المتن والعنوان، وتنعطف هذه العلاقة صوب صورة غرائبية تتيح للشاعر أن يحث الخطى في جدوى شيء لا تمسكه الذكريات.

وفي نص:(أسنان الوهم)، نرى أن السياق لا يخالف العنوان فهو وثيق الصلة معه، ليعلن عن جوهر النصِّ ومحوره الأساس، إذ يقول:

**كنتُ أخشى السقوطَ**

**تحتَ صاعقةِ المباغتةِ**

**لذلكَ..**

**حاولتُ أن أخلعَ**

**تهمةً فاسدةً عن أسنانِ الخيانة،**

**لم أفتحْ نافذةَ الكلام**

**ولا حقيبةَ الحزن،**

**ليس تماديًا في المراوغةِ**

**بلْ..**

**على وفقِ منطقِ الرغبة(20)**

فالواضح أن اشتغاليَّـة العنوان على هذا النحو(أسنان الوهم)، بإمكانه أن ينجز شيئًا فاعلًا في فضاءات المتن القائم على ( صاعقة المبالغة) و(التهم الفاسدة) و(التمادي في المراوغة)، وكلها صراعات حافلة بمنطق الرغبة ارادها الشاعر؛ لإظهار فكرة (ثريا النص)، التي تكرّس اشتغالاتها على منطق الوهم.

فالتطابق والتضاد في الدلالة لوظيفة الأسنان، لها القدرة على الانطباق والعض على جميع الأشياء، لكنّ ــــ هنا ــــ الحالة استثنائية ابتغاها جابر محمد جابر، هو أن الوهم لا يمكن أن تعضه الأسنان، وهي صورة شبحيـَّـة غرائبيـَّـة ـــ إذا صح التعبيرــــ لفضاءات شعريــَّـة حاول الشاعر أن يسترسل بها، لمقاربة دلالية بين المتن والعنوان، وهذا يقترب كثيرًا من حضور غرائبيـَّـة المشاهد النصيـَّــة الغارقة في مجهولية الأشياء المألوفة.

وفي نص:(قارورة الجسد)، يعمد الشاعر إلى (الوظيفة الوصفية)، التي يقول العنوان عن طريقها شيئًا عن النصّ، في روح استعراضية تحفّز فضولًا معرفيًا لدى المتلقي للاستدلال على كنه ذلك العنوان، إذ يقول:

**في يومٍ ما**

**سقطتُ**

**في فخِ المصادفةِ**

**كنتُ طاعنًا في الصبرِ**

**أستجدي..**

**بلاهةَ الجسد**

**لم أعترفْ..**

**إني خائنٌ بجدارةٍ**

**هربتُ..**

**من وشايةِ الليلةِ الفاضحةِ**

**بقارورةِ الجسد(21)**

إذ يعي الشاعر لفظة:(القارورة) بمعناها المعجمي، كوعاء من الزجاج يُحفظ فيه الشراب أو الطيب، ووظيفتها الأساس هي الاحتواء، ولعلَّ ورودها في العنوان وتكرارها في المتن، هو لإيجاد علاقة دلالية تقبل القراءة والتأويل، ولذلك يتحول نص:(قارورة الجسد)، إلى كيان يبحث عن ما وراء المعنى الثابت بوعي، ليضيف إليه رؤية جديدة كليًا، لأن الشاعر في نصه:(يسقط في فخ المصادفة) و(يستجدي بلاهة الجسد) و(لم يعترف بالخيانة)، فنراه يهرب من الليلة الفاضحة بـــ(قارورة الجسد)، إلى العالم الجديد من دون أن ينزع جسده، بعيدًا عن الأدران وعن مستنقع الرذيلة الذي يحاول الخروج منه.

فكان النص بنسقه يبدو تصاعديًا تتداخل فيه غرائبية الصور المركبة، تلك الصور وبطلها(الخائن) الذي لا يمكن لقارورة أن تحيط بجسده، وتعيد إليه ذاته وإيمانه، وهذا ما يجعل الوظيفة الوصفية تنهض بالعنوان بدقة، بفضل وعي الشاعر من جهة، أو بفضل غرائبية الأفكار التي تتناسب وطبيعة الموضوع من جهة أخرى.

وفي نص:(الدائرة الثانية)، استكناه الدلالات الحاضنة للمتن المليء بالغموض الكثيف ودواعيه، للوصـول إلى قيمـة العنوان وفاعليته، إذ يقول:

**علمتُ أخيرًا..**

**أنهُ شاعرٌ**

**وأن دمَهُ..**

**قفزَ عاليًا**

**وأزهر براعمَ باسلةً**

**حتى أن أسنانَهُ**

**اصبحتْ خارطةً**

**لمدنٍ منسيةٍ**

**لذلكَ..**

**أمسكَ الطائرُ،**

**مشرطَهُ**

**ليغيرَ من شكلِ القصيدةِ**

**وينحرَ سنابلَ زنجيةً**

**من أجلِ.. نزهــةٍ قادمـةٍ**

**صوبَ دوائرِ رابـعة(22)**

وعلى الرغم من أن هذا النصّ الآنف الذكر، لا يجمعه مناخ واحد بوصفه وقفة شعريـَّة تتسم بغرائبية المشهد، إلاّ انه يضم الفعل القرائيّ الذي يجمع بين المتن والعنوان، وهذا الفعل لا يخرج عن معنى الدلالة وتأويلاتها، فهو يذكي المزيد من التصوّرات المحملة بالشفرات النصيـَّـة، إذ إنَّ معنى(الدائرة الثانية) التي يبتغيها الشاعر ــــ هنا ـــــ هي بداية النصف الثاني من حياته، وقد سبقتها (الدائرة الأولى) وتمثلت في النصِّ بمرحلتين، الأولى: (أنَّه شاعر)، والأخرى: (أنَّه طائر)، وبمعونة الدائرة الثانية قد تتوالد عن ذلك (دائرة ثالثة)، غير أن الإيجاز وعدم التكرار له دلالته أيضًا، فكأنَّ الشاعر جابر محمد جابر يقول شيئًا يماثل قصر الحياة وعجالتها، فذهب صوب (الدائرة الرابعة)، وهي بالتأكيد ستكون استكمالًا لحياة أخرى يُريدها في نزهة قادمة.

**الاحالات:**

1. جابر محمد جابر: شاعر وكاتب وصحفي، مواليد (العمارة)، يعمل محررًا ثقافيًا لجريدة المشرق الدولية، صدرت له ست مجاميع شعريـَّـة: (قصائدملعونة 1977م)،(دفء الثلج 2000م)،(تعاويذ هرمة2003 م)،(أحلام مبللة 2007م)،(دوائر مربعة 2012م)،(وحيدًا في الأزقة أُغني 2015م)، وله من الاعمال السردية: (سلالم الصحو، مطر على ذاكرة الرصيف، صرخة بوجه الغول).
2. دوائر مربعة (شــعر)، جابر محمد جابر، دار جدل، سورية، دمشق، ط1، 2012م.
3. يُنظر: السيمياء والتأويل، دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته، د. أحمد عمار مداس، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م: 240 .
4. يُنظر: العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2012م: 49.
5. يُنظر: هوية العلامات، في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004م:41.
6. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنِّي، تحقيق محمد الحبيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 2007م: 309.
7. يُنظر: عتبات(جيرار جينيت من النصّ إلى المناص)، عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008م: 67.
8. وللمزيد، يُنظر: العنوان في الأدب العربي، محمد عويس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1988م، والسيميوطيقا والعنونة، د. جميل حمداوي، عالم الفكر، الكويت، مجلد(25)، العدد(23)، يناير/مارس، 1997م، وسيمياء العنوان، بسّام قطوس، وزارة الثقافة، الأردن، ط1، 2001م، والعنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م. ونظرية العنوان:(مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصيــَّة، د. خالد حسين، دار التكوين، دمشق، ط1، 2007م، وعلم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 2010م.
9. السيميوطيقا والعنونة، د. جميل حمداوي، 106.
10. يُنظر: الدلالة المرئيَّــة، قراءات في شعريَّــة القصيدة الحديثة، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2002م: 55.
11. يُنظر: العنوان في الشعر العراقي الحديث، دراسة سيميائيَّــة، حميد الشيخ فرج، دار ومكتبة البصائر، للطباعة والنشر والتوزيــــع والاعــلام، بيروت، لبنان، ط1، 2013م: 15.
12. يُنظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط7، 2009م: 105.
13. يُنظر: بكاء الحروف، قراءات في الشعر العراقيّ المعاصر، د. حسنين غازي لطيف، اليمامة للطباعة والنشر، بغداد، 2016م: 25.
14. (مقدمة) دوائر مربعة: 8.
15. يقول مالك بن الريب: وهو يرثي نفسه بقصيدته (اليائية) قبل موته بسنة، وهي من البحر الطويل، ومطلعها: ألا ليت شـــعري هل أبيتنَّ ليلةً بجنبِ الغَضا أُزجي القِلاص النَّواجيايُنظر: ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مستل من (مجلة معهد المخطوطات العربية) مج12، ج1، (د.ت): 88.
16. يقول عبد الباقي العمري: وقد أرخ وفاته بنفسه قبل أن يموت بأعوام بالبيت المنقوش على قبره: بلسانٍ يوحـــد الله أرخ ذاقَ كأس المنون عبد الباقي يُنظر: الترياق الفاروقيّ أو ديوان عبد الباقيّ العمري، دار النعمان للطباعة والنشر، بغداد، ط2، 1964م: و.
17. العنوان وسميـــوطيقا الاتصال الأدبي: 36.
18. دوائر مربـــعة: 30.
19. المصدر نفسه: 19.
20. نفسه: 23.
21. نفسه: 41.
22. نفسه: 56.

***المصادر والمراجع:***

ـــــ بكاء الحروف، قراءات في الشعر العراقي المعاصر، د. حسنين غازي لطيف، اليمامة للطباعة والنشر، بغداد، 2016م.

ــــــ الترياق الفاروقيّ أو ديوان عبد الباقيّ العمري، دار النعمان للطباعة والنشر، بغداد، ط2، 1964م.

ـــــ الدلالة المرئيَّة، قراءات في شعريــَّـة القصيدة الحديثة، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2002م.

ـــــ دوائر مربعة:(شعر)، جابر محمد جابر، دار جدل، سورية، دمشق، ط1، 2012م.

ــــــ ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مستل من (مجلة معهد المخطوطات العربية) مج12، ج1، (د.ت).

ـــــ سيمياء العنوان، بسّامقطوس، وزارة الثقافة، الأردن، ط1، 2001م.

ــــ السيمياء والتأويل، دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته، د. أحمد عمار مداس، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م.

ــــــ السيميوطيقا والعنونة، د. جميل حمداوي، عالم الفكر، الكويت، مجلد(25)، العدد(23)، يناير/مارس، 1997م.

ــــ عتبات(جيرار جينيت من النص إلى المناص)، عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008م.

ــــ علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط7، 2009م.

ــــ علم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 2010م.

ـــــ العنوان في الأدب العربي، محمد عويس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1988م.

ــــ العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2012م.

ـــــ العنوان في الشعر العراقي الحديث، دراسة سيميائيــة، حميد الشيخ فرج، دار ومكتبة البصائر، للطباعة والنشر والتوزيــــع والاعــلام، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

ــــ العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبيّ، محمد فكريّ الجزّار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.

ــــــ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنّي، تحقيق: محمد الحبيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 2007م.

ــــ نظرية العنوان:(مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصيــَّة، د. خـالد حسين، دار التكوين، دمشق، ط1، 2007م.

ــــــ هوية العلامات، في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004م.